جامعة دمياط

كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد الثانى . يوليو ٢٠١٢

المجلد الأول

عـــــام الرمـــــادة

دراسة تحليلية

أستاذ دكتور
شلبى إبراهيم الجعيدى
أستاذ التاريخ الإسلامى
كلية الآداب ـ جامعة المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إذا كان من المأثور لدى عامة الناس أن اختلاف العلماء رحمة للمسلمين ، فإن اختلاف المؤرخين حيرة للباحثين والدارسين ، الأمر الذى يدفعهم إلى المزيد من التحليل الدقيق للوصول إلى الحقيقة أو الاقتراب منها . فكثير من المؤرخين وكتاب السير الذين تناولوا عام الرمادة ، قد تناقضت رواياتهم حينا وتشابكت حينا آخر ، وأتى آخرون نقلوا عنهم دون تحقيق أو تمحيص ، حتى أضحت هذه الروايات حقائق تاريخية في الكتب الدراسية .

والعلاقة الوطيدة بين عام الرمادة وفتح مصر وحفر خليج أمير المؤمنين من الأحداث التاريخية التى تحتاج من الباحثين إلى مزيد من التدقيق والتحقيق ؛ لذا جاء اهتمام الباحث بهذا الموضوع ، وزاد من هذا الاهتمام أن بعض الباحثين الذين فنّدوا كثيرا من القصص والروايات التى وردت في أثناء فتح مصر وما صاحبها (1), لم يتعرضوا للرسالة التى أرسلها عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يطلب منه الإمدادات الغذائية بالنقد والتحليل . حتى المؤرخ بتلر في كتابه فتح العرب لمصر الذى كان من المفترض أن يناقش هذه القضية بشيء من التفصيل لوثيق صلتها بموضوعه تناولها دون تفنيد لها (2) ، ولعل

---

(1) محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، جـ2 ، ط10 ، القاهرة ، دار المعارف ، 2000، ص 164-165 ، 168 ، 169- 173 . عباس محمود العقاد : عبقرية عمر ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، 2003 ، ص 233-239 . على محمد الصلابى : فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الشارقة ، مكتبة الصحابة ، 2002 ، ص 275 .

(2) بتلر الفرد ج : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، ط2 ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، 1996 ، ص 368 .

هذا كان من بين الأسباب التى دفعت الباحث إلى تحليل هذه الروايات لمعرفة مدى اقترابها من الحقيقة . فهل كان عام الرمادة بعد فتح مصر حتى يتمكن عمرو بن العاص من إرسال الإمدادات الغذائية إلى عاصمة الخلافة ؟ وكيف وفق المؤرخون المسلمون بين الحدثين ؟ وهل الرسالة التى أرسلها عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص لطلب الإمدادات ــ وأصبحت مسلّمة عند كثير من المؤرخين ــ صحيحة وهل تم إرسال الإمدادات عبر خليج أمير المؤمنين بعد إعادة حفره ؟ وإلى أى مدى أثر عام الرمادة في حركة الفتوحات الإسلامية ؟ أسأل الله التوفيق والسداد فى الإجابة على هذه التساؤلات .

معنى الرمادة وأسبابها :

كانت الأعوام يؤرخ لها بما وقع فيها من الأحداث المشهورة ، وذلك قبل قبل أن يتخذ عمر بن الخطاب التقويم الهجرى ، فهناك عام الفيل ، وعام الحزن ، وعام الوفود ، وعام الرمادة ، وقيل إن هذا العام سمى بالرمادة لانحباس المطر فترة طويلة ، فكانت الرياح تسفى ترابا كالرماد لشدة الجدب[٣] فسمى العام بعام الرمادة ، وقيل لأن الأرض اسودت من قلة المطر [٤].

---

(٣) ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢ ، ص ٢٥٠ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٩٧ ، ص ٣٧٤ . محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، ص ٢٦٥

(٤) ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل بن عمر) ت ٧٧٤ هـ : : البداية والنهاية ، جـ٧ ، تحقيق على شيرى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٨٨ ، ص ١٠٣.

وقيل إنما سمى بذلك لكثرة من هلك فيه [٥] ، والرمْد والرمادة بمعنى الهلاك والقحط [٦]. وقيل سمى عام الرمادة لأن الزرع والشجر وكل شيء من النبت احترق مما أصابه ، فشبه سوادها بالرمادة [٧]. وقيل سمى الرمادة لأنهم لما أجدبوا صارت ألوانهم كلون الرماد [٨].

وعام الرمادة هو عام مجاعة وشدة [٩] ويسمى عام المجاعة أيضا " خوبة " [١٠] و" غبراء " . ويطلق على المجاعة أيضا سنة ، وجمعها سنون وهى الأزمان التى تكون فيها المجاعة والجدوبة ، فقد قال الله تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } [١١] . والمجاعة يعبر عنها أيضا بالمخمصة [١٢] وفي القرآنِ الكريم {فَمَنِ اضْطُرَّ

---

(٥) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٢ ، ط٢ ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، عبد الفتاح محمد الحلو ، بيروت ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٢٩ .

(٦) ابن منظور: لسان العرب ، جـ٣ ، ط٣ ، بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤ هـ ، ص ١٨٥- ١٨٦ . الزمخشرى : الفائق في غريب الحديث والأثر ، جـ ٣ ، ط٢ ، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت ، ص ٢٦٨ .

(٧) الخزاعى : تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع ، ط٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٤١٩هـ ، ص ١٦٦ .

(٨) ابن سيده : المخصص ، جـ٣ ، تحقيق خليل إبراهيم جفال ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٩٦، ص ١٠٧ .

(٩) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥ ، ص ٣٨٧ .

(١٠) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٦٨.

(١١) سورة الأعراف ، آية ١٣٠ .

(١٢) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد ، جـ٤ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١ ، ص ٣٦١ .

فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [١٣]**. ومن المجاز: زمن خميص أى ذو مجاعة** [١٤] **.**

والمجاعة بصورة عامة نقص فى المواد الغذائية الضرورية لبقاء الإنسان ، وغالبا ما تكون مرتبطة بارتفاع فى الأسعار لقلة العرض وزيادة الطلب .

والسبب الرئيس فى حدوث المجاعة ببلاد الحجاز قلة الأمطار أو انعدامها لفترة زمنية طويلة [١٥]**، ومن المعروف أن الأمطار التى تسقط على بلاد الحجاز أمطار موسمية متذبذبة غير منتظمة السقوط ، فإذا انعدمت الأمطار جفّ الزرع وهلكت الماشية . ولم يرد فيما بين يدى الباحث من مصادر ذكر لاحتكار الطعام فى عام الرمادة مما يؤدى إلى تفاقم الأزمة ، وقد يرجع ذلك إلى عدم قدرة التجار على احتكار السلع لسياسة عمر الإدارية ، وعدم سماحه للتجار باحتكارها ، وقد يرجع أيضا إلى حياة التكافل الاجتماعى التى عاشها المجتمع المدنى فى تلك الفترة ، فلم يكن الغرض الأساسى الربح بقدر ما كان الهدف توفير احتياجات الناس .**

وفسر البعض أسباب المجاعة تفسيرا دينيا فيما يمكن أن نطلق عليه " العقوبة الإلهية " ، كسبب لانتشار المجاعات والمحن بصفة عامة ، فعام الرمادة ـ من وجهة النظر هذه ـ عقوبة من الله لإظهار الناس للمنكرات وعدم النهى عنها ، وعدم سقوط المطر لكثرة ذنوب البشر ومعاصيهم ، فإذا

---

(١٣) سورة المائدة ، آية ٣ .

(١٤) الزمخشرى : أساس البلاغة ، جـ١ ، تحقيق محمد باسل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ ، ص ٢٦٦ .

(١٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٧٤ . محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، ص ٢٦٥ .

ظهرت دواعى الفساد ترتب عليه غلاء الأسعار ، وخراب الديار [١٦] ، فكثير من المؤرخين أرجعوا ما حدث للمسلمين في عام الرمادة إلى أن نفرا من المسلمين شربوا الخمر ، فقد أرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يخبره أن نفرا من المسلمين أصابوا الشراب ، فأشار عليه أن يضرب أعناقهم إن قالوا أنه حلال ، ويجلدهم ثمانين جلدة إن أقروا أنها حرام ، فأقروا بحرمتها فجلدوا ، وندموا على لجاجتهم ، ثم قال عمر " ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث ، فحدث عام الرمادة " [١٧]

والمتأمل في هذا النص يجد أن هناك تناقضا بين مقدماته ونتائجه ، لأنه لو صح هذا التفسير لكان وقوع المجاعة في بلاد الشام أَوْلَى وليس بلاد الحجاز ، لأن أبا عبيدة كان واليا على بلاد الشام ، وواقعة شرب الخمر حدثت بها ، وعلى الرغم من ذلك لم تصب بلاد الشام في هذا العام مجاعة ، بل كانت من أول المناطق التى أمدت بلاد الحجاز بالطعام [١٨] . وقد يكون النص صحيحا لو جاء هكذا :" ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث ، فحدث طاعون عمواس [١٩] "

(١٦) الجوينى : غياث الأمم ، جـ ١ ، ط٢ ، تحقيق عبد العظيم الديب ، مكة ، مكتبة إمام الحرمين ، ١٤٠١هـ ، ص ٢١٢.

(١٧) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٥٠٧ . ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ، ص ٣٧٤ . ابن عساكر: تاريخ دمشق ، جـ٢٤ ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروى ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥ ، ص ٣٩٠ . ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٤ ، ٢٤٩ . المتقى الهندى : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، جـ٥ ، تحقيق بكرى حياتى ، صفوة السقا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١ ، ص ٤٧٧ .

(١٨) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص ٥٠٩ .

(١٩) عمواس بفتح العين والميم والواو وبعد الألف سين مهملة . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٧٨ .

على اعتبار أن طاعون عمواس حدث في بلاد الشام التى شرب فيها الناس الخمر ، وليس في بلاد الحجاز .

ومن ناحية أخرى إذا كان البلاء لا ينزل من السماء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة كما قال العباس بن عبد المطلب بعدما استسقى فى عام الرمادة [٢٠] فمن الواضح أن الذين شربوا الخمر تابوا قبل حدوث المجاعة ، ولزموا بيوتهم [٢١] ، وندموا على لجاجتهم [٢٢]. وجدير بالذكر إن العقوبة الإلهية لم ينفرد بها المسلمون فى تفسير الأزمات وإنما كانت سائدة أيضا في المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى [٢٣] .

شدة المجاعة وآثارها :

بلغت المجاعة في عام الرمادة حدا كبيرا أصاب الناس بالمدينة ، حتى جعلت الوحش تأوى إلى الإنس ، ويذبح الرجل الشاة فيعافها من قبحها ، وأكل بعض الناس جلد الميتة مشويا ، وكانوا يسحقون العظام ويسفونها [٢٤] .

ولقد تركت هذه المجاعة آثارها على الجانب الاقتصادى و الاجتماعى :

الأسعار : من الملاحظ أنه لم تذكر أسعار سلع كثيرة فى عام الرمادة حتى نتمكن من معرفة مدى ارتفاع الأسعار فيها . وكل ما ذكر فى هذا الشأن أن غلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى له فى نهاية عام الرمادة بعد

---

(٢٠) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، جـ٢٦ ، ص ٣٥٨ .

(٢١) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص ٥٠٧ .

(٢٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٤ ، ص ٢٤٩ .

(٢٣) Martin, A. Lynn: Plague : Jesuit accounts of epidemic disease in the 16 th century , sixteenth century Journal , 1996, p. XI

(٢٤) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، جـ ٤٤ ، ص ٣٤٨ . الحلبى : السيرة الحلبية ، جـ٢ ، طـ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٢٧هـ ، ص ٦٦ .

أن بدأت أمور الناس فى التحسن عُكّة من سمن ، ووَطْب من لبن [٢٥] بأربعين درهما [٢٦] . وبلغ سعر الناقة في المتوسط أكثر من أربعمائة درهم [٢٧] . وورد أن امرأة عمر بن الخطاب اشترت له فرقا [٢٨] من سمن بستين درهما [٢٩]. وإذا كان الفرق ثلاثة آصع ، فإن الصاع الواحد يبلغ سعره عشرين درهما .

كما قلت القيمة الشرائية للعملة وقت المجاعة ، حيث وجدت العملة ولم توجد السلع ، وأصبحت الأموال في أيدى أصحابها لا قيمة لها إذ لا يجدون بها

---

(٢٥) العكة وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص ابن منظور : لسان العرب ، جـ١٠ ، ص ٤٦٨ . وقيل أن وعاء الجلد الذى يوضع فيه اللبن وغيره من السوائل يسمى الزّق ، ويختلف اسمه باختلاف ما يوضع فيه ، فإن كان فيه لبن فهو وطب ، وإن كان فيه سمن فهو نحْى ، فإن كان فيه عسل فهو عُكّة ، وإن كان فيه ماء فهو شكوة وقربة ، فإن كان فيه زيت فهو حمين . السيوطى: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جـ١ ، تحقيق فؤاد على منصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ ، ص ١٣٩ .

(٢٦) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ ٢ ، ص ٥٠٨ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٢٧) محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والتوازن الاقتصادى بين الأفراد والدول ، القاهرة ، وزارة الأوقاف ، د.ت ، ص ٤٠ .

(٢٨) الفرق مكيال بالمدينة مقداره ثلاثة آصُع (جمع صاع) ويقال إنه ستة عشر رطلا ، أو اثنا عشر مُدّاً . الأزدى : تفسير غريب ما في الصحيحين البخارى ومسلم جـ١، تحقيق زبيدة محمد سعيد ، القاهرة ، مكتبة السنة ، ١٩٩٥، ص ١٣٩ ، ١٨٠ . الرازى : مختار الصحاح، جـ١،تحقيق يوسف الشيخ محمد ،بيروت، المكتبة العصرية ،١٩٩٩، ص ٢٣٨

(٢٩) ابن المبرد الحنبلى : محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، جـ١ ، تحقيق عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، المدينة النبوية ، الجامعة الإسلامية ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٦٥ .

ما يسد رمقهم ؛ لذا ارتفعت الأسعار بدرجة كبيرة ، ومما يدل على ذلك أن السمن لقلته صار يباع بالأواقى (٣٠) . كما ازدادت عملية المقايضة فى البيع والشراء وقت المجاعة ، فأحد أبناء عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى بطيخة بكف من نوى (٣١) .

كما أدت المجاعة إلى ضعف الإنتاج الحيوانى ، فضعفت الماشية وهلكت الأغنام ، وأصبح الباقى منها هزيلا تعافه النفس . فقد ذبح أناس من البادية شاة ، فوجدوا عظمها أحمر (٣٢) .

ازدياد أعداد الوفيات : من المعروف أنه في أثناء حدوث المجاعات ، وعدم قدرة الناس على تناول ما يقتاتون به ترتفع نسبة الوفيات بين الناس . ولا توجد إحصاءات دقيقة يعول عليها فى وفيات عام الرمادة ، وإنما أشار المؤرخون إلى تعميمات غير دقيقة كقولهم " هلك كثير من الناس " (٣٣) ، وفى عام الرمادة وقع الموت فى الناس ، حتى أن عمر بن الخطاب كان يصلى على عشرة أفراد فى وقت واحد (٣٤) .

ويبدو أن الموت قد فشا بين الناس ، وبخاصة فى أهل البادية لأنهم كانوا أكثر تضررا من أهل المدينة ، حتى قدر البعض أنه لم يبق منهم سوى الثلث

---

(٣٠) يذكر الشافعى أن الأواقى نوع من أنواع الكيل ، وجعل هذا دليلا على أن أصل السمن الوزن النووى : المجموع شرح المهذب ، جـ١٠ ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، ص ٢٩٧ .

(٣١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٤ ، ص ٥٠٩.

(٣٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩. =

Muir, William : The Caliphate,its Rise , Decline ,and Fall , London , 1898, p.164=

(٣٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ١٠٤.

(٣٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠ ، ص ٢٤١ .

[٣٥] . وقد ماتت أعداد كبيرة منهم فى المدينة عام الرمادة ودفنوا بجبل أحد ، حتى أن طلحة بن عبيد الله كان إذا سئل عن تلك القبور المجتمعة بأُحد يقول قوم من الأعراب : " كانوا زمن الرمادة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فماتوا فتلك قبورهم " [٣٦]

الهجرة المؤقتة : فى أثناء عام الرمادة لجأ عدد كبير من أهل البوادى إلى الحضر بصورة عامة ، وإلى المدينة المنورة بصورة خاصة لأنها كانت أحسن حالا من غيرها من المناطق المجاورة لها ، وتعوّد أهلها أن يدخروا بعضا من غذائهم ، لذا لجأ أهل البادية إلى المدينة حتى يحصلوا على بعض الطعام ، فقد لجأ ما يقرب من مائة بيت من قوم مالك بن أوس بن الحدثان [٣٧] إلى المدينة فى عام الرمادة ، وأتى الأعراب من كل ناحية فقدموا المدينة ، واستقروا على أطرافها [٣٨] ، وعندما انتهت الرمادة وأغاث الله الناس ، وربت الأرض واخضرت ، ولم يبق للأعراب الذين قدموا المدينة أن يقيموا بها ؛ نادى

---

(٣٥) نفس المصدر والصفحة . الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، جـ٣ ، ط٢ ، تحقيق عمر عبد السلام التدمرى ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٩٣ ، ص ٢٧٤ .

(٣٦) الواقدى : المغازى ، جـ١ ، ط٣ ، تحقيق مارسدن جونس ، بيروت ، دار الأعلمى ، ١٩٨٩ ، ص٣١٢ .

(٣٧) مالك بن أوس بن الحدثان بن عوف بن ربيعة النصرى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أدرك الجاهلية ، وتوفى بالمدينة سنة ٩٢ هـ ، وقيل سنة ٥٢ هـ ، وهو ابن أربع وتسعين سنة .ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، جـ٣ ، تحقيق على محمد البجاوى ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٢ ، ص ١٣٤٦-١٣٤٧.
Muir: The Caliphate, p.164.

(٣٨) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤٠ -٢٤١ .

عمر بن الخطاب فى أهل البادية أن يتركوا المدينة ويعودوا إلى مواطنهم الأصلية ، وحمل الضعيف منهم حتى يلحق بأهله ، حتى لا يركن الناس إلى الدعة . وقد خصص رجالا يحملون الناس على الخروج إلى البادية ، ويعطونهم قوتا وجملانا ، حتى أنه خرج بنفسه على فرس له ليتثبت من هذا الأمر [٣٩].

وفى عام الرمادة فضل كثير من أهل المدينة عدم الهجرة إلى أى مكان آخر ، فصبروا على البلاء وشدة الزمان وغلاء الأسعار اختيارا لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤٠] ، وامتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يثبت أحد على لأوائها (شدتها) وجهدها إلا كنت له شهيدا أو شفيعا له يوم القيامة " [٤١] قالها الرسول الكريم عندما اشتد الجهد بالمدينة وغلا السعر ، وحاول البعض الهجرة من المدينة إلى غيرها من المدن [٤٢].

التكافل الاجتماعى : عندما ازدادت أعداد الأعراب الوافدة إلى المدينة فى عام الرمادة ، قسم عمر بن الخطاب المدينة إلى أربعة أقسام وجعل على كل

---

(٣٩) نفس المصدر ، ص ٢٤١ .

(٤٠) ابن قتيبة الدينورى : الإمامة والسياسة ، جـ٢ ، تحقيق خليل المنصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧ ، ص ٣٢٧.

(٤١) مسلم : صحيح مسلم ، جـ٢ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ص ٩٩٢ . ابن حنبل : مسند أحمد ، جـ٢، ص ١٣٣ . ابن حبان : صحيح ابن حبان ، جـ٩ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٨ ، ص ٥٦.

(٤٢) ابن النجار : الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، تحقيق حسين محمد على شكرى ، المدينة النبوية ، دار الأرقم بن أبى الأرقم ، ص ٣٣٤ .

قسم منها رجلا [٤٣]، وكان هؤلاء الأربعة يقومون على مصالح الناس نهارا كل فى ناحيته يقسمون المؤن والأطعمة ويتفقدون أحوال كل جهة ، فإذا جن الليل اجتمعوا عند عمر فيخبرونه بكل ما كانوا فيه [٤٤] . كما أمر رجاله بحضور نحر الإبل التى كان يرسلها لهم خوفا أن يبقوها ولا يذبحوها لحبهم للإبل [٤٥] ، وهذا يوضح التنظيم الإدارى الجيد الذى اتبعه عمر في إدارة الأزمة .

ولم يتوقف عمر بن الخطاب عن توزيع ما يقع تحت يديه من طعام على الناس داخل المدينة وخارجها ، بل أنفق فى الناس من حواصل بيت المال ما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده [٤٦] ، وكان يطهو بنفسه الطعام ، ويوزعه على من جاءه من المناطق المجاورة للمدينة ، ويقدم لهم الكساء أيضا [٤٧] . ومن لم يأت أرسل إليه بالدقيق والتمر والأدم إلى منزله شهرا بشهر ، كما كان يتعاهد مرضاهم ، وأكفان من مات منهم [٤٨] . كما اجتهد عمر بن الخطاب فى إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف [٤٩] . وفكر أن يضم إلى بيوت الأغنياء عددا من الفقراء يتساوى مع عدد أسرهم[٥٠] .

---

(٤٣) هؤلاء الرجال هم يزيد ابن أخت النَّمِر ، والمِسْوَر بن مَخْرَمة ، وعبد الرحمن بن عبد القارئ ، وعبد الله بن عُتْبة بن مسعود . ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٣١٦

(٤٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٣١٦ . ابن عساكر : تاريخ دمشق ، جـ٤٤ ، ص ٣٤٨

(٤٥) ابن شبة : تاريخ المدينة ، جـ ٢، تحقيق محمد فهيم شلتوت ، قم ، دار الفكر ، ١٤١٠ هـ ، ص ٧٤٤ .

(٤٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٧ ، ص ١٠٣.

(٤٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣، ص٢٣٦ . الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ ٢ ، ص ٥٧١

(٤٨) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤١ .

(٤٩) البخارى : الأدب المفرد ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٠.
ابن شبة : تاريخ المدينة ، جـ٢ ، ص ٧٣٨ .

(٥٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤٠ . ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٣٦٦ . ابن شبة : تاريخ المدينة ، جـ٢ ، ص ٧٤٣ .

الطعام : وفى عام الرمادة تغيرت العادات الغذائية للناس ، ومن أقوى الأدلة على ذلك أن عمر آلى على نفسه ألا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيا الناس ، لأنه اعتبر ذلك إسرافا ، وأراد أن يشعر بما تشعر به الرعية ، فكان معظم طعامه الخبز والزيت ، حتى تغير لون جلده ، وسمع صوتا لبطنه ، كل ذلك وهو رافض أن يذوق طعاما لا يذوقه كل المسلمين [٥١]. واعتبر وجود المرق والزيت في إناء واحد شيئ من الإسراف والتبذير[٥٢] ، حتى بعد أن بدأت أمور الناس فى التحسن ووصل السوق بعض من اللبن والسمن واشترى غلامه لبنا وسمنا رفض عمر أن يأكله وأمر غلامه بالتصدق بهما[٥٣] . ولم يقتصر الأمر على شخص عمر ، إذ أنه ألزم أهل بيته بالتقشف فى المعيشة عام الرمادة ، واستنكر أن يأكل أحد أولاده بطيخا فى هذا العام [٥٤] أو يأكل كل ما اشتهى[٥٥] .

---

(٥١) ابن شبة : تاريخ المدينة ، جـ٢ ، ص ٧٤١ . ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٥٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٥٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ ٢ ، ص ٥٠٨.

(٥٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤٠ . ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٤ ، ص ١٤٠ .

(٥٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، تحقيق حمدى الدمرداش ، القاهرة ، مكتبة نزار مصطفى ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠٤ .

وانتشرت ظاهرة الطعام الجماعى بين الناس ، إذ خصصت قدور كبيرة يصنع فيها الكركور[٥٦] يأكل منه المرضى . كما كانت تعمل العصائد ، حيث يوضع الزيت فى قدور كبيرة ويترك حتى يذهب حره ، ثم يثرد الخبز ، أو يذر عليه الدقيق ، ثم يؤدم بالزيت ، ثم يقدم الطعام للناس جماعات [٥٧] . وكان عمر بن الخطاب قد اتخذ قِدحا فيه فرض ، أى أخذ سهما وحز فيه حزا علمه به ، فكان يغمز القدح فى الثريد فإن لم يبلغ موضع الحز لام صاحب الطعام وعنفه [٥٨]. وكان عمر رضى الله عنه يجلس بينهم يأكل مما يأكلون ، حتى روى أنه " ما أكل فى بيت أحد من ولده ولا بيت أحد من نسائه زمان الرمادة " [٥٩] . وقد طلب عمر بن الخطاب من القائمين على خدمة الناس وإطعامهم فى عام الرمادة أن يحصوا من تعشى فى أحد الأيام ، فوجدوهم سبعة آلاف رجل غير النساء والأطفال والمرضى الذين يصل الطعام إليهم حيث يوجدون ، وكانوا يقدرون بأربعين ألفا [٦٠] . ثم ازدادت أعداد الناس حتى بلغ من يتعشى عنده عشرة آلاف ، والآخرون خمسين ألفا [٦١]. وطالب عمر بن الخطاب الناس بالاقتصاد فى الطعام[٦٢] ، وقام بتعليم بعض النساء كيفية عمل العصيدة [٦٣] .

---

(٥٦) الكركور : شراب من العصيدة . ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥ ، ص ١٩٤ .

(٥٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٣١٧. ابن سيده : المخصص ، جـ١ ، ص ٤٢٨ . ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ٢٧٧ .

(٥٨) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٥٥٦.

(٥٩) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٣١٧ .

(٦٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤١ . الذهبى : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٢٧٣ .

(٦١) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، جـ٤٤ ، ص ٣٤٨ .

(٦٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ١٤٥ . الزمخشرى : الفائق ، جـ١، ص ٢١٠.

(٦٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٣٩ .

وقد اضطر الناس إلى أكل نباتات وقت المجاعة لم يتعودوا عليها أو لم تخصص لطعام الإنسان ، مثل أكل العراب وهو شجر يفتل من لحائه الحبال ، تأكله القرود[٦٤] ، بل اضطر بعض الناس إلى أكل جلد الميتة مشويا ، وسحقوا عظام الحيوانات وكانوا يستفونها [٦٥]. وتمنى عمر بن الخطاب أن تكثر الضباب بعدما شاهد رجلا سمينا قويا ، أرجع سبب سمنه وقوته إلى أكل الضباب[٦٦] واشتد الجوع بالناس حتى كانوا يحفرون نُفق اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها [٦٧].

ولم يقف تأثير المجاعة على أنواع الطعام التى يأكلها البشر ، بل تخطاه إلى طعام الماشية ، فعندما رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى روث فرس شعيرا فى عام الرمادة ، استنكر ذلك لأن ما يعلف به الفرس يكفى أسرة كاملة [٦٨]

وكما تأثرت عادات الطعام لدى الناس فى عام الرمادة ، تأثرت أيضا ملابسهم ، ففى هذا العام لبس عمر بن الخطاب إزارا كان فيه ست عشرة رقعة [٦٩] .

---

(٦٤) ابن منظور : لسان العرب ، جـ١ ، ص ٥٩٣ .

(٦٥) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ ٢ ، ص ٥٧١.

(٦٦) ابن شبة : تاريخ المدينة ، جـ٢ ، ص ٧٣٩ .

(٦٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٣٥ .

(٦٨) الزمخشرى : الفائق ، جـ ٣ ، ص ٦٣ .

(٦٩) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤٣ .

ومن أثر المجاعة أيضا على مظاهر الحياة الاجتماعية ، أن اغتم الناس ، وقل الضحك ، وندرت المسامرة ، وازداد عدد السؤّال لضيق ذات أيديهم ، إلا أنه لوحظ قلة هؤلاء السؤّال ، لأنهم سألوا فلم يعطوا ، فقطعوا السؤال (٧٠) .

هل أثر عام الرمادة في حركة الفتوحات الإسلامية ؟

جدير بالذكر أن عام الرمادة لم يكن له تأثير جد كبير على الفتوحات الإسلامية ، فعلى الرغم من أن عمر بن الخطاب قد شدّد أوامره إلى جنده في عام الرمادة ألا يقاتلوا عدوهم إلا إذا أكرهوا دفاعا عن أنفسهم (٧١) . غير أن المصادر التاريخية توضح أن المسلمين قاموا في هذا العام بفتح جرجان(٧٢) ، وفى نفس العام فتحت جنديسابور صلحا ، وحلوان عنوة ، وحران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة وقيل صلحا والموصل ونواحيها عنوة (٧٣). كما إن الرُّها وحَرّان والرَّقَّة فتحت هذه السنة (١٨هـ / ٦٣٩م) على يد عِيَاض بن غَنْم ، وإن عين الوردة وهى رأس عين فتحت فيها على يد عمير بن سعد (٧٤) .

وقد يرجع ذلك إلى أن الجيوش الإسلامية في تلك المناطق كانت قد خرجت للفتح قبل حدوث المجاعة ، كما كان لها قواعد انطلاق تمدها بالمؤن

---

(٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٧ ، ص ١٠٣.

(٧١) محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، جـ١ ، ص ٢٦٩ .

(٧٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٤ ، ص ٢٥٢ . ذكر ابن كثير أنها فتحت فى سنة ثلاثين أيام عثمان بن عفان . البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ١٣٨ .

(٧٣) الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، جـ١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، مطبعة الكويت ، ١٩٨٤، ص ١٧ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٠٦ .

(٧٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ، ص ٣٨٠ . كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى ، بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٦٨ ، ص ٩٩

والمساعدات دون حاجة إلى اللجوء لطلب المساعدة والعون من دار الخلافة التى كانت مشغولة بالمجاعة ولا تستطيع إرسال الإمدادات إن طلبت في تلك الفترة .

يضاف إلى ما سبق أن بداية فتح مصر نفسها قد حدث في أواخر عام ١٨هـ / ٦٣٩م أى في نفس السنة التى حدثت فيها المجاعة ، مما يعنى أن أثر هذه المجاعة لم يتعد حدود شبه الجزيرة العربية .

استعانة عمر بالأمصار الإسلامية :

لم يستعن عمر بالأمصار الإسلامية إلا بعد أن نضبت موارد بيت المال ، وأخرج الميسورون من أهل المدينة ما عندهم من طعام ، ولم يبق عند أحد منهم زاد[٧٥] ، فأرسل إلى بعض الأمصار الإسلامية يستغيث بولاتها لإرسال المؤن إلى المدينة وما جاورها من مناطق لكى يخففوا من حدة المجاعة . فأرسل إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وأرسل إلى يزيد بن أبى سفيان في بلاد الشام ، كما أرسل إلى عمرو بن العاص والى مصر ، وأرسل إلى سعد بن أبى وقاص والى العراق [٧٦] .

ومن الغريب أن ابن سعد [٧٧] وابن الأثير [٧٨] يشككان في استعانة عمر بن الخطاب بيزيد بن أبى سفيان في عام الرمادة ، بحجة أن يزيد كان قد توفى في طاعون عمواس ، في حين أنهما لا يشككان في استعانة عمر بأبى عبيدة

---

(٧٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ١٠٣ .

(٧٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٣٦ .

(٧٧) نفس المصدر ، ص ٢٣٦ .

(٧٨) الكامل ، جـ٢ ، ص ٣٧٦ .

ابن الجراح الذى توفى مع يزيد في نفس الطاعون . وهذا يجعلنا نتساءل أيهما أسبق في الحدوث طاعون عمواس أم عام الرمادة ؟

يرى البعض أن طاعون عمواس كان في سنة سبع عشرة ومكث أشهرا [٧٩] أى أنه كان قبل عام الرمادة وهذا زعم خاطئ ، بدليل أن أبا عبيدة بن الجراح الذى توفى فى الطاعون كان أول من قدم إلى المدينة في أربعة آلاف راحلة من طعام فولّاه عمر قسمتها فيمن حول المدينة ، وكافأه عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم على هذا العمل [٨٠]

والواضح أن المجاعة حدثت أولا في بلاد الحجاز في أواخر عام ١٧هـ / ٦٣٨م وأوائل عام ١٨هـ / ٦٣٩م ، ثم حدث الطاعون في بلاد الشام عام ١٨هـ [٨١] ، واتجه عمر بعد انتهاء المجاعة إلى بلاد الشام ليقضى بين الناس في مواريث المطعونين في عمواس ، ثم رجع إلى المدينة في ذى القعدة ١٨هـ / نوفمبر ٦٣٩م [٨٢] .

وإذا كنا نصدق الاستغاثة بسعد بن أبى وقاص ، الذى أرسل ألفى بعير تحمل الدقيق إلى المدينة[٨٣] إلا إننا نقف من استعانته بعمرو بن العاص والى مصر موقفا مغايرا . ونوضح ما ردده المؤرخون حول هذه الاستعانة .

---

(٧٩) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص ٤٨٩ .

(٨٠) نفس المصدر ، ص ٥٠٩ . ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٤ ، ص ٢٥١ .
Muir : The Caliphate , p.165.

(٨١) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص ٤٨٧ .

(٨٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ، ص ٣٨٠ .
Dols , M.W : Plegue in Early Islamic History, Journal of the American Oriental Society , Vol.94, No3, 1974,p.378.

(٨٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤٠ .

توضح الرواية أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص " سلام عليك ، أما بعد أفترانى هالكا ومن قبلى ، وتعيش أنت ومن قبلك فياغوثاه ثلاثا ، ابعث إلينا بالطعام على الإبل وابعث فى البحر . فكتب إليه عمرو بن العاص : " لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد أتاك الغوث ، لأبعثن إليك بعير أولها عندك وآخرها عندى " (٨٤) . . . وبعث عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بالطعام فى البر والبحر ، فبعث إليه فى البحر عشرين سفينة تحمل الدقيق والودك ، وبعث إليه فى البر بألف بعير تحمل الدقيق ، وبخمسة آلاف كساء (٨٥) .

وفى رواية أخرى بعث عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بقوله : " من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن العاص ، فإنك لعمرى لا تبالى إذا سمنت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معى ، فيا غوثاه ، ثم يا غوثاه " (٨٦)

وهنا يلح سؤال مهم هل كان قد تم فتح مصر ؟

---

(٨٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٣٦ . السيوطى : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جـ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٦ .

(٨٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٤٠ .

(٨٦) نفس المصدر ، ص ٢٣٦ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٥ هـ ، ص ١٩٢ . محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، ط٦ ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٧٥١ . محمد يوسف بن محمد : حياة الصحابة ، جـ٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٩ ، جـ٢ ، ص ٤٦٧ .

حاول بعض المؤرخين التوفيق بين الحدثين (عام الرمادة وفتح مصر) لكى يكون فتح مصر قد تم قبل عام الرمادة حتى تستقيم الرواية ، وسلكوا في ذلك مسلكين . الأول : أخّر البعض حدوث عام الرمادة حتى عام ٢١هـ / ٦٤٢م ، وهذا ما فعله البلاذرى فقال : " إن حفر الخليج حدث في عام المجاعة سنة واحد وعشرين من الهجرة "[٨٧]

والثانى : قدّم البعض الآخر فتح مصر فجعله قبل عام ١٨هـ / ٦٣٩م . فابن الأثير بعدما عدّد اختلاف روايات فتح مصر ، قال من بينها : " وقيل فتحت مصر سنة ست عشرة في ربيع الأول ، وبالجملة فينبغى أن يكون فتحها قبل عام_الرمادة ، لأن عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القلزم من مصر إلى المدينة " [٨٨] ، وعَذَره ابن كثير " لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرمادة " [٨٩]. أى أن الشك عندهما وعند غيرهما جاء فى تواريخ الأحداث وليس فى مدى صدق الرواية .

ولكى يقترب الباحث من الحقيقة فإنه يجب عليه أن يفترض عدة افتراضات ليتعرف على مدى صحتها . وهذه الافتراضات هى :

الأول : أن يكون تاريخ الرمادة الصحيح هو ١٨هـ / ٦٣٩م ، وأن يكون تاريخ فتح مصر قبل هذا التاريخ .

الثانى : أن يكون تاريخ فتح مصر الصحيح هو ٢٠هـ / ٦٤١م ، وعام الرمادة تم بعد هذا التاريخ .

---

(٨٧) البلاذرى: فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ ، ، ص ٢١٧.

(٨٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ، ص ٣٨٣ .

(٨٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ١١١ .

الثالث : أن تكون التواريخ صحيحة وأن تكون مدة المجاعة أطول كأن تكون المجاعة استمرت من عام ١٨هـ إلى ما بعد ٢٠هـ / ٦٤١م .

الرابع : أن تكون التواريخ صحيحة والرواية خاطئة وليس لها أساس من الصحة .

الفرض الأول : إذا كان عام الرمادة هو عام ١٨هـ / ٦٣٩م فيكون فتح مصر قد تم قبل ذلك . والمتواتر أن عمرو بن العاص خاطب الخليفة عمر بن الخطاب في غزو مصر بعد فتح بيت المقدس عام ١٦هـ / ٦٣٧م ، إلا إنه تردد في الفتح [٩٠]. ثم أثير فتح مصر بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص مرة أخرى عندما قدم عمر بن الخطاب إلى الجابية فى سنة ١٧هـ / ٦٣٨ م للإشراف على آخر ما وصلت إليه الفتوحات الإسلامية ، وكل ما استطاع بتلر أن يستنبطه من بحوثه في تواريخ الفتح العربى أن جيش عمرو كان بالعريش في عيد الأضحى من السنة الثامنة عشرة للهجرة / ١٢ ديسمبر ٦٣٩ م ، وأنه فتح الفرما حوالى ١٩المحرم ١٩هـ / ٢٠ يناير ٦٤٠ م بعد حصار دام شهرا ، وأن موقعة عين شمس كانت في ١٩ رجب ١٩هـ / ١٥ يوليو سنة ٦٤٠ هـ [٩١] ، وكان فتح حصن بابليون فى ٢١ ربيع الآخر ٢٠هـ / ٩ أبريل ٦٤١ م [٩٢] .

---

(٩٠) بتلر : فتح العرب ، ص ٢٠٠ .

(٩١) نفس المرجع ، ص ٢٦٥ .

(٩٢) نفس المرجع ، ص ٣٠٠ . كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٠١ .
Stanley Lane-Poole : History of Egypt in the Middle Ages , London , 1924, p.5

ثم بدأ المسلمون حصار الإسكندرية في جمادى الآخرة ٢٠هـ / يونيو ٦٤١ م [٩٣]، وأن المدينة سلمت في ٢٨ ذو القعدة ٢٠هـ / ٨ نوفمبر ٦٤١م [٩٤] ، وهذا يعنى أن الحصار دام أربعة أشهر ونصف الشهر . وقد يؤيد هذا القول الذى أورده بتلر ما جاء في كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : " إنكم تقاتلونهم منذ سنتين " [٩٥] فيما بين وصول عمرو إلى العريش في ذى الحجة ١٨هـ / ديسمبر ٦٣٩م وتسليم الإسكندرية في ذى القعدة ٢٠هـ / نوفمبر ٦٤١م يعادل سنتين هلاليتين[٩٦]. مما سبق يتضح أن بداية فتح مصر كان في أواخر عام ١٨هـ .

الفرض الثانى : إذا كان تسليم الإسكندرية تم في أواخر ٢٠هـ / ٦٤١م فهل كان عام الرمادة بعد هذا التاريخ لكى يطالب عمر بن الخطاب عمرو بن العاص بإرسال الإمدادات من مصر إلى المدينة ؟ اختلف المؤرخون فى سنة الرمادة ، فبعضهم أوضح أنها كانت سنة ست عشرة [٩٧] ، ورأى البعض الأخر

---

(٩٣) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، د . ت ، ص ٢٢٩-٢٣٤ .

(٩٤) بتلر : فتح العرب ، ص ٣٤٣ . ذكر سعيد ابن البطريق أن فتح الإسكندرية كان يوم الجمعة مستهل محرم سنة عشرين من الهجرة . التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٩ ، ص ٢٦ .

(٩٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٠٢ . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص ١٢٠ .

(٩٦) محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، جـ٢ ، ص ١٣١ .

(٩٧) ابن سليمان الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، جـ١٠، تحقيق حسام الدين القدسى ، القاهرة ، مكتبة القدسى ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠٦.

أنها كانت سنة تسع عشرة [٩٨] والمؤرخ الوحيد الذى أوضح أن عام الرمادة حدث في عام ٢١هـ / ٦٤٢م هو البلاذرى [٩٩] ، بينما يرى أغلب المؤرخين أنها وقعت عام ثمان عشرة من الهجرة [١٠٠] ، أو فى أواخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة [١٠١] . وهذا التاريخ هو الأقرب للصحة لحدوث طاعون عمواس١٨هـ / ٦٣٩م بعد الرمادة ، كما سيأتى تفصيله .

الفرض الثالث : هل المجاعة التى حدثت فى المدينة استغرقت فترة زمنية أكثر من سنة أى أنها بدأت في عام ١٨هـ / واستمرت حتى تم فتح مصر ؟

كما اختلف المؤرخون في عام الرمادة اختلفوا أيضا حول المدة التى استمرت فيها الرمادة ، فالبعض أوضح أنها استمرت عدة " أعوام تتابعت على الناس في أيام عمر بن الخطاب " [١٠٢] واختلفوا في عدد هذه الأعوام ،

---

(٩٨) الخزاعى : تخريج الدلالات السمعية ، جـ١ ، ص ١٦٥ .

(٩٩) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٧-٢١٨ .

(١٠٠) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٤ ، ط٢ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٥ ، ص ١٥٨ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٧٤ . ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ط٢ ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧ هـ ، ص ١٣٨ . ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ١٠٣

(١٠١) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ ، ص ٨١ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٠٦ . الذهبى : العبر جـ١ , ص ٢٠ . ابن سيد الناس : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، جـ٢ ، بيروت ، دار القلم ، ١٤١٤ هـ ، ص ٣٦٢ .

(١٠٢) الديار بكرى : تاريخ الخميس فى أحوال أنفس النفيس ، جـ٢ ، بيروت ، دار صادر ، د. ت ، ص ٢٤٠ .

فالبعض حددها بسنتين (١٠٣) والبعض الآخر أوضح أنها استمرت خمسة أعوام (١٠٤) ، وأوضح فريق ثالث من المؤرخين أنها استمرت ست سنوات (١٠٥) ، وهذه المدد التى ذكرت مبالغ فيها ، يدل على ذلك عدة أمور :

أولا : أن هذه الحادثة معروفة فى المصادر التاريخية بعام الرمادة ، وليس أعوام الرمادة ، مما يوحى أنها لم تستمر أكثر من عام واحد .

ثانيا : ذكر الطبرى عن عاصم بن عمر بن الخطاب قال : " قحط الناس زمان عمر عاما فهزل المال " (١٠٦)

ثالثا : إن إرسال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمال الصدقة فى العام التالى لجمع زكاة عامين ، العام الذى تأخر ، والعام الذى حل عليهم (١٠٧) ، يعنى أن المجاعة لم تستمر سوى عام واحد ، لأنها لو استمرت أكثر من ذلك لما استطاع أن يجمع زكاة عامين . والراجح أن مجاعة الرمادة استمرت تسعة

---

(١٠٣) الباجى الأندلسى : المنتقى شرح الموطأ ، جـ٧ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، د.ت . ، ص ٢٤٨ .

(١٠٤) القرطبى : تفسير القرطبى ، جـ١٨ ، ط٢ ، تحقيق أحمد البردونى ، إبراهيم أطفيش ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٤، ص ١٥.

(١٠٥) الباجى الأندلسى : المنتقى شرح الموطأ ، جـ٧ ، ص ٢٤٨.

(١٠٦) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص ٥٠٩ .

(١٠٧) البيهقى : معرفة السنن والآثار ، جـ٦ ، تحقيق عبد المعطى أمين قلعجى ، المنصورة ، دار الوفاء ، ١٩٩١ ، ص ٧٧-٧٨ . ابن سلام : الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ،= = بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦ ، ص ٤٦٤ . ويرى الباحث أن ما جمعه عمر بن الخطاب من مال عن عام الرمادة ليس الزكاة المفروضة ، وإنما هو اجتهاد منه يتيح له أخذ الصدقة من أموال القادرين لسد حاجة ضرورية .

أشهر [١٠٨] فى أواخر عام سبع عشرة من الهجرة وأوائل ثمان عشرة من الهجرة .

الفرض الرابع : أن تكون التواريخ صحيحة والرواية خاطئة وليس لها أساس من الصحة ، ويعتقد الباحث أن هذه الرواية التى عجّت بها المصادر التاريخية ليس لها أساس من الصحة . يؤكد ذلك عدة دلائل :

أولا : كان عمرو بن العاص لا يزال فى بلاد الشام حتى أواخر عام ١٨ هـ / ٦٣٩م بدليل أنه بعد وفاة أبى عبيدة بن الجراح بالطاعون ؛ عيّن عمر ابن الخطاب معاذ بن جبل ، وبعد وفاته عين عمرو بن العاص ، وهو الذى أمر الناس بالاتجاه إلى الجبال بعيدا عن عمواس حتى لا ينتشر الطاعون بينهم [١٠٩] ، فكيف تأَتّى لعمرو بن العاص أن يفتح مصر ويحفر خليجها ويرسل إمدادات منها إلى بلاد الحجاز في عام الرمادة وهو لم يذهب إلى مصر بعد .

ثانيا : أن كلمة العاص متكررة عند كثير من المؤرخين عندما يتناولون رسالة من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بغض النظر عن فحوى الرسالة ، حتى إن البعض قال كان عمر بن الخطاب إذا غضب على عمرو بن

---

(١٠٨) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٣٥ .

Muhammad Shafiq : The Meaning of Ra'y and Nature of its usage in Islamic Law (An Examination of Select cases of the Legal Reasoning in the Period of 'Umar, the Second Caliph), Islamic Research Institute, International Islamic University, Islamabad . Vol. 23, No. 1, 1984, P.28

(١٠٩) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص ٤٨٨ .

Muir : The Caliphate , p.166.

العاص يكتب إليه " .. إلى العاص بن العاص " [١١٠] وأصبحت عادة المؤرخين تكرارها سواء غضب عمر من عمرو أم لم يغضب .

ثالثا : لا يوجد دافع يجعل عمر بن الخطاب يصف عمْراً " بالعاص ابن العاص " ، فهل كان عمرو بن العاص ـ على افتراض وجوده فى مصر ـ على علم بالمجاعة فى بلاد الحجاز ولم يمد يد العون والمساعدة لدار الخلافة لتخطى الأزمة والمشكلة الاقتصادية حتى يخاطبه عمر بن الخطاب بذلك ؟ !! ، قد يتفهم الباحث هذه المقولة فى رسالة يرسلها عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص عندما تقدم بأصحابه إلى مصر بغير إذن منه فى إحدى الروايات [١١١] أو عندما اشتكاه القبطى الذى تظلم من ضرب ابن عمرو بن العاص له عندما تفوق عليه فى السباق ؛ لأنه لم يُقِم العدل فى رعيته ولم يعاقب ولده ، وعلى الرغم من ذلك لم يورد المؤرخون الذين تناولوا الواقعة أن عمر خاطب عمْراً بالعاص بن العاص [١١٢] . فكيف له بالمخاطبة فى هذه الرواية ؟! .

رابعا : إن عمرو بن العاص عندما وصلته الرسالة ـ على افتراض حدوثها ـ استجاب لنداء عمر ، وقال : لبيك ثم لبيك وأرسل إمدادات من الطعام والكساء من مصر إلى المدينة .

---

(١١٠) ابن شبة : تاريخ المدينة ، جـ٣ ، ص ٨٠٨ .

(١١١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٧٨ . الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق محمد حسن محمد ، أحمد فريد المزيدى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣ ، ص ٩ . سعيد ابن بطريق : التاريخ المجموع ، ص ٢١ .

(١١٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٩٥ . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص ٥٧٨ . ابن المبرد : محض الصواب ، جـ٢ ، ص ٤٧٢ .

خامسا : هناك مبالغة غير منطقية فى عدد العير التى أرسلت سواء كانت وصفية أم عددية فالقول : " أتتك عير أولها عندك وآخرها عندى [١١٣] " قول متكرر ، فقد أورد بعض المؤرخين أن عمر بن الخطاب أرسل إلى يزيد بن أبي سفيان فى عام الرمادة يطلب منه الغوث فكتب إليه لُبّيت لبيت لبيت يا أمير المؤمنين، أتاك الغوث، بعثت إليك عيرا أولها بالمدينة وآخرها بالشام [١١٤].. وإرسال عمرو بن العاص ألف بعير ، وفى رواية أخرى ألفى بعير كلها لا تتفق مع المنطق أو الواقع ، وهى كلها كنايات عن كثرة العدد .

وإذا كانت الروايات فى معظمها تأتى مقدّرة بأعداد البعير دون تحديد للكمية المرسلة من الطعام فإن رواية توضح القدر الذى أُرسل من مصر إلى بلاد الحجاز فتوضح أنه أُرسل ألف ألف أردب [١١٥] ، أى مليون أردب ، وإذا كان الأردب يوازى ما يقرب من ١٥٠ كيلو جرام ، أى أن ما أرسل طبقا لهذه الرواية ١٥٠ مليون كيلو جرام ، أى حوالى ١٥٠ ألف طن قمح . وهو قدر مبالغ فيه بدرجة كبيرة فهل كانت مصر تنتج هذا القدر من القمح ؟! وإذا كانت هذه الإمدادات من مصر فقط ، فإذا ما أضيف إليها ما جاء من الشام ، والكوفة ، لأصبحت الكميات المذكورة مبالغ فيها بدرجة كبيرة تزيد عن حاجة أهل الجزيرة العربية فى فترة المجاعة . وهو ما يوضح أن معظم المؤرخين المسلمين لم يكن لديهم الدقة الكافية عند ذكر الأعداد .

---

(١١٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٣٦ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٩٠ . سعيد ابن بطريق : التاريخ المجموع ، ص ٢٧ .

(١١٤) ابن شبة : تاريخ المدينة ، جـ٢ ، ص ٧٤٣ .

(١١٥) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٥٢ ، ص ١٩٢-١٩٣ .

ويعدّد ابن سعد الروايات عندما وصلت الإمدادات من مصر إلى بلاد الحجاز ، وملخصها أن الإمدادات التى وصلت من مصر سارت مسارين : المسار الأول وهو الإمدادات التى حملتها الإبل تم توزيعها فى شمال شبه الجزيرة العربية ينحرون الجُزُر ويطعمون الدقيق ، ويكسون العباء . والمسار الثانى وهو الإمدادات التى أتت من خلال خليج أمير المؤمنين[١١٦] ، حملت إلى أهل تهامة [١١٧].

والسؤال الذى يطرح نفسه هل تم استخدام خليج أمير المؤمنين في إرسال الإمدادات إلى بلاد الحجاز ؟

أسهبت المصادر الكلاسيكية في الحديث عن القناة التى تربط بين نهر النيل وبحر القلزم فأرسطو وسترابون ينسبان هذا الفعل إلى سيزوستريس وهو ما يمكن أن يكون سنوسرت الثانى أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة [١١٨] . بينما هردوت ذكر أن نكاو (٦١٠-٥٩٥ ق.م) كان أول من شرع في حفرها [١١٩]

---

(١١٦) كان الخليج يعرف أولا بخليج أمير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب لأنه أعيد حفره في عهده . ثم صار يقال له خليج مصر ، فلما بنيت القاهرة بجانبه من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة . وفى العصر المملوكى يسميه العامة بالخليج الحاكمى لزعمهم أن الحاكم هو الذى احتفره . المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٠١ . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ٣٨٧

(١١٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٣٦ .

(١١٨) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١٣ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ ، ص ٧١٦.

(١١٩) صبحى عطية : الفرعون نكاو الثانى تاريخه وآثاره ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ٢٠٠٥ ، ص٢٧ .

وقد هلك في هذا المشروع مائة وعشرون ألف عامل [١٢٠] ، وهو رقم وإن كان مبالغا فيه إلا إنه يوضح الخسائر البشرية الكبيرة في هذا المشروع .

ومن الواضح أن دارا الأول ٥٢١-٤٨٦ ق.م طهر الجزء الذى كان قد حفر في عهد نكاو وكانت هذه القناة تتسع لسير سفينتين فيها متحاذيتين . [١٢١] وقد أعيد تطهير القناة مرة أخرى خلال عهد بطليموس الثانى (٢٨٥-٢٤٦ق.م) .

وكان هذا الخليج يجرى مبتدئا من شمال بابليون فيمر بمدينة عين شمس متجها شمالا بشرق إلى بلبيس فإذا جاوزها اتجه شرقا إلى بحيرة التمساح ، ليخرج من جنوب هذه البحيرة ، فيتابع جريانه خلال البحيرات المرة فيبلغ البحر الأحمر عند السويس [١٢٢]. ويبدو أنه كانت قد حدثت تعديلات في مسار المجرى المائى للقناة خلال عصر تراجان ٩٨-١١٧م بحيث مدت نقطة البداية من جنوب بابليون ، وفى حوالى عام ١٧٠م توقفت القناة عن العمل إلى أن أعاد استعمالها المسلمون [١٢٣].

وقد اختلف المؤرخون فيمن أمر بحفر الخليج، فقد رأى البعض أن عمر ابن الخطاب هو الذى أمر عمرو بن العاص بحفر خليج يصل بين نهر النيل وبحر القلزم ، لسهولة وصول الإمدادات من خلاله إلى بلاد الحجاز [١٢٤] وهذه

---

(١٢٠) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١٣ ، ص ٧٠٥ .

(١٢١) نفس المرجع ، ص ٧٠٤ . صبحى عطية : الفرعون نكاو الثانى ، ص ٣١ .

(١٢٢) محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، جـ٢ ، ص ١٦١ .

Stanley Lane-Poole : History of Egypt , p.20

(١٢٣) صبحى عطية : الفرعون نكاو الثانى ، ص ٣٢ .

(١٢٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٩٠ . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١،ص ١٥٧

الرواية لا يعوّل عليها ، لعدم معرفة عمر بن الخطاب بهذه الفكرة ، كما أنه لم يزر مصر من قبل ويكون على دراية بأن هناك قناة قديمة تصل بينهما . والأقرب إلى الصواب أن الذى دل عمرو بن العاص على الخليج رجل من قبط مصر في مقابل وضع الجزية عنه وعن أهل بيته (١٢٥). فأرسل عمرو بن العاص إلى عمر يعرض عليه الفكرة ، ثم ندم على كتابه الذى أرسله لعمر يستشيره في إعادة حفر الخليج خوفا من خراب مصر ونقل ثروتها إلى المدينة ، وعظم تكلفة الحفر ، لولا أن هدّده عمر بن الخطاب بالعزل من ولاية مصر (١٢٦) فكتب إليه عمر " أن افعل وعجّل ، أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها " (١٢٧) ، وحدّد له حولا حتى يفرغ من حفره (١٢٨). فاضطر إلى تنفيذ إعادة الحفر ، فأنهاه فيما بين ستة أشهر وتسعة أشهر (١٢٩) .

وسرعة الحفر وإعادة الخليج إلى طبيعته تدل على أن بعض مجراه الذى طوله تسعون ميلا كان لا يزال صالحا . وبينما تصمت المصادر العربية عن

---

(١٢٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٩٣ .

(١٢٦) نفس المصدر ، ص ١٩١ ، ١٩٣ .

(١٢٧) الطبرى : تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص ٥٠٩ . ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٤ ، ص ٢٥٢ . ويعتقد الباحث أن هذه المقولة لم تصدر من عمر رضى الله عنه ، لأنه لا يجوز لحاكم أن يخرب إقليما لصالح إقليم آخر ، كما أن هذا السلوك يتنافى مع أخلاق عمر وسلوكه .

(١٢٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٩١ .

(١٢٩) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٣ ، ص ٢٣٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٧ ، ص ١٠٣. القلقشندى : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ط٢ ، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٥ ، جـ١ ، ص ٩١ ، جـ٣ ، ص ٣٣٩ . المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ١٣٥ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ٤ ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، د. ت ، ص ٤٣ .

كيفية إعادة الحفر ، يؤكد بعض المؤرخين نقلا عن حنا النقيوسى أن عمرو بن العاص قد استخدم أسلوب السخرة فى تنفيذ هذا العمل ، فجند الألوف من العمال والفلاحين المصريين [١٣٠] ، حتى أن حنا النقيوسى وصف المسلمين وصفا لاذعا فقال : " وكان نيرهم على أهل مصر أشد وطأة من نير فرعون على بنى إسرائيل " [١٣١]، ولكن عمر بن الخطاب المعروف بعدله ، والذى اقتص لمظلوم مسيحى اشتكى له من ابن عمرو بن العاص ، ويعتبر نفسه مسئولا عن تعثر البغلة في العراق إذا لم يسو لها الطريق ، ويضرب جمّالا لأنه حمّل جمله مالا يطيق ، ويقول لأصحاب الركائب اتقوا الله في ركائبكم واعلموا أن لها عليكم حقا [١٣٢] ، فإذا كان هذا رأفته بالبهائم ، فلم يكن ليرضى بسخرة عشرات الآلاف من المصريين المسيحيين ولمدة استمرت تسعة شهور .

وقيل إن عمْراً كان ينوى حفر خليج بين بحيرة التمساح والبحر المتوسط مباشرة وليس عن طريق النيل ، ولكن عمر بن الخطاب أبى عليه ذلك حتى لا يسهل للروم اختراق هذه القناة وتسيير سفنهم إلى بحر القلزم وقطع السبيل على من أراد الحج ، ولم يكن للعرب يومئذ أسطول تجارى أو حربى يقف في وجه أسطول الروم أو ينافسه [١٣٣] . وليس فى هذه الرواية شبهة تمنع من تصديقها .

---

(١٣٠) محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، جـ٢ ، ص ١٦١ . =

= Stanley Lane-Poole : History of Egypt , p.20

(١٣١) بتلر : فتح العرب ، ص ٣٦٨ .

(١٣٢) الصلابى : عمر بن الخطاب ، ص ٢٠٥ .

(١٣٣) بتلر : فتح العرب ، ص ٣٦٩ . سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١٣ ، ص ٧١٤ . محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، جـ٢ ، ص ١٦٢ ,

أما بالنسبة للسنة التى تم فيها حفر خليج أمير المؤمنين ، فيرى البعض أن حفر الخليج كان في عام الرمادة وهى سنة ست عشرة [١٣٤] ، ويذكر البلاذرى إن حفر الخليج حدث في عام المجاعة ٢١ هـ / ٦٤٢م ، فقد كتب عمر إلى عمرو يأمره بأن يرسل الجزية عينا إلى المدينة بالبحر [١٣٥] . وهذا لا يدل على أن عملية الحفر قد بدأت في هذا العام ، وإنما يدل على معرفة القيمة العملية لهذا الخليج . وأن عملية الحفر قد بدأت بعد هذا التاريخ ، وقد يكون ما ذكره بعض المؤرخين أن خليج أمير المؤمنين حفر فى سنة ٢٣ هـ / ٦٤٤م [١٣٦] . وهى تبدأ في نوفمبر سنة ٦٤٣م هو الأقرب للصواب ، يؤيد ذلك أن عمرو بن العاص كان قبل هذا التاريخ مشغولا باستكمال فتح مصر ، خاصة في المناطق الشمالية من مصر السفلى [١٣٧].

وعلى أي حال فإن الخليج قد استكمل حفره وسارت فيه السفن واستعمل قبل وفاة عمر بن الخطاب ذو الحجة ٢٣ هـ / نوفمبر ٦٤٤م ، لأن عمر ذهب ليرى مجيئ السفن الآتية من مصر . وظل يعمل طوال عهد عثمان بن عفان حتى صار سعر الطعام بالمدينة كسعر مصر ، ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان فذلوا وتقاصروا على حد قول ابن الأثير[١٣٨] .

---

(١٣٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٤ ، ص ٤٣ .

(١٣٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٧-٢١٨ .

(١٣٦) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٣٨٦ . القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، جـ٣ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت ، ص ٣٣١ .

(١٣٧) بتلر : فتح مصر ، ص ٣٦٦-٣٦٧ ، حاشية ١.

(١٣٨) الكامل ، جـ٢ ، ص ٣٧٥ .

نخلص مما سبق أنه إذا كانت المجاعة قد استمرت تسعة أشهر فهى فترة غير كافية لتبادل الرسائل بين المدينة ومصر ، والقيام بحفر الخليج ، ثم إرسال السفن بالمؤن لتصل إلى بلاد الحجاز ، وهذا ليس تشكيكا فى مدة المجاعة ، وإنما فى صدق الرواية . وبالتالى فإن حفر خليج أمير المؤمنين . الذى يصل بين نهر النيل وبحر القلزم . لم يكن متزامنا مع عام الرمادة ، وإنما تم بعد ذلك بفترة ، وقد يكون الدافع لحفره أن يكون وسيلة اتصال بين مصر وعاصمة الخلافة الإسلامية أو يكون عمر بن الخطاب بعد أن استقر فتح مصر تذكر ما عاناه أهل الحجاز فى عام الرمادة فأراد أن يكون الخليج وسيلة للتخفيف من عبء مجاعات مقبلة ، وأن " يكون سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر " (١٣٩) حتى أن الطبرى أوضح مدى ما أحدثه حفر هذا الخليج من تأثير إيجابى على السلع والأسعار فى المدينة بقوله : " ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر بعد مقتل عثمان رضى الله عنه " (١٤٠)

---

(١٣٩) النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ١٩ ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٣٥١ .

(١٤٠) تاريخ الأمم ، جـ٢ ، ص ٥٠٩.

خاتمة :

تخلص الدراسة إلى :

ـ إعادة النظر في كثير من الروايات التاريخية التى كانت محل ثقة من الباحثين ، فبعض الروايات وضعت في غير موضعها ، حيث يقوم بعض المؤرخين بكتابة الحوادث دون تحقيق أو تمحيص ، ثم يأتى الآخرون ينقلون عنهم ما كتبوه ، حتى تصبح حقائق مسلما بها عند كثير من الناس .

ـ إن معظم المؤرخين شككوا فى السنوات التى حدث فيها عام الرمادة ، وفتح مصر ، ولم يشككوا فى رواية استعانة عمر بن الخطاب بعمرو بن العاص لإرسال الإمدادات الغذائية من مصر إلى بلاد الحجاز . وما أثبته البحث أن تاريخ وقوعهما صحيح , وهو أن عام الرمادة تم فى أواخر ١٧هـ وأوائل ١٨هـ ، وأن فتح عاصمة مصر تم سنة ٢٠هـ ، وأن الرواية هى التى ليس لها أساس من الصحة ، ولم يتم إرسال أى إمدادات غذائية من مصر إلى بلاد الحجاز عام الرمادة ، وإنما تم ذلك فى سنوات لاحقة بعد عام الرمادة .

ـ أن حفر خليج أمير المؤمنين في مصر جاء لاحقا لعام الرمادة بما لا يقل عن خمس سنوات ، وبالتالى لا صحة للروايات التى تؤكد وصول الإمدادات من مصر إلى بلاد الحجاز عبر هذا الخليج .

ـ أن عام الرمادة وإن كان قد ترك أثرا واضحا في المجالين الاقتصادى والاجتماعى في شبه الجزيرة العربية ، فإنه لم يترك نفس الأثر في حركة الفتوحات الإسلامية .

المصادر والمراجع :

أولا : المصادر :

١. ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد) ت٦٣٠ هـ : الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، بيروت ،دار الكتاب العربى ، ١٩٩٧

٢. الأزدى (محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد) ت ٤٨٨ هـ : تفسير غريب ما في الصحيحين البخارى ومسلم ، تحقيق زبيدة محمد سعيد ، القاهرة ، مكتبة السنة ، ١٩٩٥ .

٣. الباجى الأندلسى (أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد) ت ٤٧٤ هـ : المنتقى شرح الموطأ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، د.ت .

٤. البخارى (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) ت٢٥٦هـ : الأدب المفرد ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٨٦ .

٥. البيهقى (أحمد بن الحسين بن على بن موسى) ت٤٥٨هـ: معرفة السنن والآثار ، جـ٦ ، تحقيق عبد المعطى أمين قلعجى ، المنصورة ، دار الوفاء ، ١٩٩١ .

٦. البلاذرى (أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داود) ت ٢٧٩ هـ : فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ .

٧. ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهرى الحنفى) ت ٨٧٤ هـ : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، د.ت .

٨. ابن الجوزى (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن) ت ٥٩٧ هـ : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢ .

٩. الجوينى (عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى) ت ٤٧٨ هـ : غياث الأمم ، ط٢ ، تحقيق عبد العظيم الديب ، مكة ، مكتبة إمام الحرمين ، ١٤٠١ هـ

١٠. ابن أبى حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس) ت ٣٢٧ هـ : الجرح والتعديل ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٥٢

١١. ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ) ت ٣٥٤ هـ : صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٨ .

١٢. الحلبي (علي بن إبراهيم بن أحمد أبو الفرج نور الدين ابن برهان الدين) ت ١٠٤٤هـ : السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،١٤٢٧هـ .

١٣. ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أسد الشيبانى) ت ٢٤١ هـ : مسند الإمام أحمد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١ .

١٤. الخزاعى (على بن محمد بن أحمد بن موسى) ت ٧٨٩ هـ : تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع ، ط٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٤١٩ هـ .

١٥. ابن خياط (أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيبانى) ت ٢٤٠ هـ : تاريخ خليفة بن خياط ، ط٢ ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧ هـ .

١٦. الديار بكرى(حسين بن محمد بن الحسن) ت ٩٦٦ هـ : تاريخ الخميس فى أحوال أنفس النفيس ، جـ٢ ، بيروت ، دار صادر ، د.ت .

١٧. الذهبى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) ت ٧٤٨ هـ : العبر فى خبر من غبر ، جـ١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، مطبعة الكويت ، ١٩٨٤

١٨. الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط٢ ، تحقيق عمر عبد السلام التدمرى ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٩٣ .

١٩. الرازى (زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر) ت ٦٦٦ هـ : مختار الصحاح ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٩٩ .

٢٠. الزمخشرى (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) ت ٥٣٨ هـ : أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ .

٢١. الزمخشرى : الفائق في غريب الحديث والأثر ، ط٢ ، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت .

٢٢. السبكى (تاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين) ت ٧٧١ هـ : طبقات الشافعية الكبرى ، ط٢ ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، عبد الفتاح محمد الحلو ، بيروت ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣ هـ .

٢٣. ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع) ت ٢٣٠ هـ : الطبقات الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠ .

٢٤. سعيد ابن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٩ .

٢٥. ابن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادى) ت ٢٢٤ هـ : الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦ .

٢٦. ابن سليمان الهيثمى (أبو الحسن نور الدين على) ت٨٠٧هـ : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، جـ١٠، تحقيق حسام الدين القدسى ، القاهرة ، مكتبة القدسى ، ١٩٩٤

٢٧. ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل) ت ٤٥٨ هـ : المخصص ، جـ٣ ، تحقيق خليل إبراهيم جفال ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٩٦ .
٢٨. السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين) ت ٩١١ هـ : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٧ .
٢٩. السيوطى: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق فؤاد على منصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨
٣٠. السيوطى : تاريخ الخلفاء ، تحقيق حمدى الدمرداش ، القاهرة ، مكتبة نزار مصطفى ، ٢٠٠٤ .
٣١. ابن شبة (أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى) ت ٢٦٢ هـ : تاريخ المدينة ، تحقيق محمد فهيم شلتوت ، قم ، دار الفكر ، ١٤١٠ هـ .
٣٢. الطبرى (محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر) ت ٣١٠ هـ : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ .
٣٣. ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبى) ت٤٦٣هـ : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، جـ٣ ، تحقيق على محمد البجاوى ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٢ .
٣٤. ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم المصرى) ت ٢٥٧ هـ : فتوح مصر والمغرب ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٥ هـ .

٣٥. ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله) ت ٥٧١ هـ : تاريخ دمشق ، جـ٢٦ ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروى ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥ .

٣٦. ابن قتيبة الدينورى (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٦ : الإمامة والسياسة ، جـ٢ ، تحقيق خليل المنصور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧ .

٣٧. القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر) ت ٦٧١هـ : تفسير القرطبى ، جـ١٨ ، ط٢ ، تحقيق أحمد البردونى ، إبراهيم أطفيش ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٤.

٣٨. القلقشندى (أحمد بن على بن أحمد الفزارى) ت ٨٢١ هـ : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، جـ٣ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت .

٣٩. القلقشندى : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ط٢ ، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٥ .

٤٠. ابن كثير(أبو الفدا إسماعيل بن عمر) ت ٧٧٤ هـ : : البداية والنهاية ، جـ٧ ، تحقيق على شيرى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٨٨ .

٤١. الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب) ت ٣٥٥ هـ : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق محمد حسن محمد ، أحمد فريد المزيدى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣ .

٤٢. ابن المبرد الحنبلى (يوسف بن حسن بن عبد الهادى) ت٩٠٩هـ : محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، جـ١ ، تحقيق عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، المدينة النبوية ، الجامعة الإسلامية ، ٢٠٠٠ .
٤٣. المتقى الهندى (علاء الدين على بن حسام الدين ابن قاضى خان) ت ٩٧٥ هـ : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، جـ٥ ، تحقيق بكرى حياتى ، صفوة السقا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١.
٤٤. المقريزى (أحمد بن على بن عبد القادر) ت ٨٤٥ هـ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ .
٤٥. ابن منظور (محمد بن مكرم بن على جمال الدين) ت ٧١١ هـ : لسان العرب ، ط٣ ، بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤ هـ .
٤٦. ابن النجار (محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن) ت ٦٤٣ هـ : الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، تحقيق حسين محمد على شكرى ، المدينة النبوية ، دار الأرقم بن أبى الأرقم ، د. ت .
٤٧. النووى (أبو زكريا محيى الدين يحيى) ت ٦٧٦ هـ : المجموع شرح المهذب ، بيروت ، دار الفكر ، د. ت .
٤٨. النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم شهاب الدين) ت ٧٣٣ هـ : نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ١٨ ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٣ هـ .

٤٩. الواقدى (محمد بن عمر بن واقد السهمى) ت ٢٠٧هـ : المغازى ، جـ١ ، ط٣ ، تحقيق مارسدن جونس ، بيروت ، دار الأعلمى ، ١٩٨٩ .

٥٠. ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله) ت ٦٢٦ هـ : معجم البلدان ، ط٢ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٥ .

ثانيا : المراجع العربية :

١. بتلر الفرد ج : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٦ .

٢. سليم حسن : مصر القديمة ، جـ١٣ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٠

٣. السيد عبد العزيز سالم : التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، د . ت .

٤. صبحى عطية : الفرعون نكاو الثانى تاريخه وآثاره ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ٢٠٠٥.

٥. عباس محمود العقاد : عبقرية عمر ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ .

٦. على محمد الصلابى : فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الشارقة ، مكتبة الصحابة ، ٢٠٠٢ .

٧. كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨.

٨. محمد حسين هيكل : الفاروق عمر ، ط١٠ ، القاهرة ، دار المعارف ، ٢٠٠٠ .

٩. محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، ط٦ ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٧ هـ .
١٠. محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والتوازن الاقتصادى بين الأفراد والدول ، القاهرة ، وزارة الأوقاف ، د.ت .
١١. محمد يوسف بن محمد : حياة الصحابة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٩ .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1. Dols , M.W : Plegue in Early Islamic History, Journal of the American Oriental Society , Vol.94, No3, 1974, pp. 371-383.
2. Martin, A. Lynn: Plague : Jesuit accounts of epidemic disease in the 16 th century , sixteenth century Journal , 1996 .
3. Muhammad Shafiq : The Meaning of Ra'y and Nature of its usage in Islamic Law (An Examination of Select cases of the Legal Reasoning in the Period of 'Umar, the Second Caliph), Islamic Research Institute, International Islamic University, Islamabad . Vol. 23, No. 1, 1984, PP.21-32
4. Muir, William : The Caliphate , its Rise , Decline ,and Fall , London , 1898.
5. Stanley Lane-Poole : History of Egypt in the Middle Ages , London , 1924.